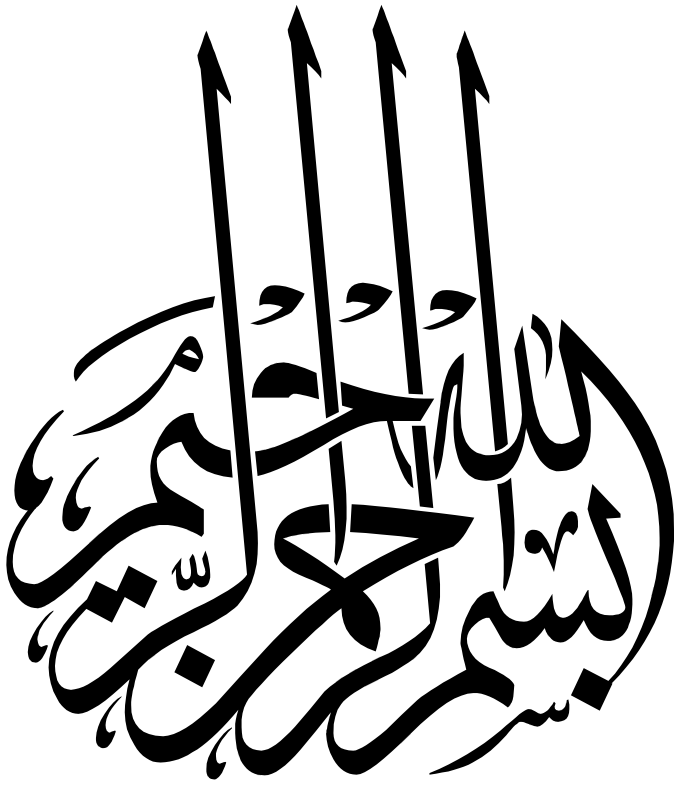
بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

((بَابٌ: فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ-، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ؛ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟» قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تُرَحِّلُ النَّاسَ»)).

هذا الحديث أيها الإخوة؛ بعد أن ذكر الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ العلامة على قرب ظهور العلامات الكبرى؛ ذكر العلامات الكبرى، ما هي علامة قرب ظهور العلامات الكبرى؟ كثرة الروم والملحمة، بعد أن ذكر هذه العلامة، ذكر أمارات الساعة الكبرى، وهي ما في هذا الحديث.

قال: ((اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟»)) هذا في بعض نسخ مسلم، وفي بعض نسخ مسلم: ((ما تَذْكرون؟)) بدون الألف، قالوا: ((نَذْكُرُ السَّاعَةَ)) أي نذكر أمر قيامها وأنها يمكن أن تقوم في أي وقت، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ» وذكرها، هذا الحديث فيه علامات الساعة الكبرى،

وهي كما جاء في الحديث: الدّخان، والدّجّال، والدابة، وَطلوع الشّمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، والنار التي تحشر الناس.

طيب؛ هذه كم يا إخوة؟ هي ثمانية إذا عددناها هكذا، عشر بتفصيل الخسوف، إذا فصّلنا الخسوف فذكرنا الثلاثة تصبح عشرة، كما سيأتي عن شاء الله.

وهذه الآيات لم تُذكَر في الحديث مرتَّبة؛ بدليل أنّ الروايات مختلفة في الذِّكر في التقديم والتأخير. ويحسن قبل أن نشير إلى ما يتعلق برتيبها أن نشير إلى ما يتعلق بتقسيمها، فإنّ علماء الإسلام -بفقههم- قسموا هذه العلامات الكبرى تقسيماتٍ جميلة.

1. فمنهم من قسمها إلى قسمين:

♦ **القسم الأول**: علاماتٌ متعلقةٌ بتغير أحوال الأرض؛ منها: خروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، والخسوف، الذي سنتكلم عنه إن شاء الله.

♦ **والقسم الثاني**: علاماتٌ متعلقةٌ بتغير أحوال السماء؛ ومنها: طلوع الشمس من مغربها، والدابة التي تكلم الناس، والنار التي تحشر الناس.

2. ومن أهل العلم من قسمها إلى قسمين:

♦ **القسم الأوّل**: علاماتٌ متّفقةٌ مع العادة وإن كانت باهرة؛ هي باهرة ولكنها على وفق العادة، وهي: ظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج. قلنا هذه العلامات عظيمة؛ كيف يقولون متفقة مع العادة؟! قالوا: نقول إنها متفقة مع العادة يعني أنها على هيأة بني آدم ومن بني آدم. يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وحواء -كما سيأتي إن شاء الله-، وعيسى عليه السلام هو ابن مريم، والدجال سيأتي التفصيل في أصله وبيان أنه من بني آدم.

♦ **والقسم الثاني**: علاماتٌ مخالفةٌ للعادة؛ ومنها: طلوع الشمس من المغرب؛ قالوا: هذا خلاف المعتاد؛ لا يألفه الناس، ومنها: ظهور الدابة. قالوا: وهذا أيضا على نوعين -أي التي ليست مألوفة-:

أ. علاماتٌ أرضية: وهي ظهور الدابة.

ب. وعلاماتٌ سماوية: وهي طلوع الشمس من مغربها.

وهذا التقسيم قد يُعتَرض عليه؛ من جهة أنّ الآيات كلها لو تدبرناها لوجدناها مخالفة للعادة؛ فالدجال معه أمور تخالف العادة، ونزول عيسى عليه السلام كذلك، وخروج يأجوج ومأجوج كذلك.

3. ومن العلماء من قسمها تقسيما دقيقا، فقال: هذه العلامات على قسمين:

♦ **القسم الأوّل**: علاماتٌ دالةٌ على قرب قيام الساعة؛ وهي: الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسوفات. هذه علامات على قرب قيام الساعة.

♦ **القسم الثاني**: علاماتٌ دالة على وقوع الساعة؛ وهي: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس. قالوا: هذه علامات على حصول الساعة؛ إذا وقعت هذه العلامات حصلت الساعة، وهي قريبة جدا من وقتها.

وقد جاءت النصوص فيها بيان أوّل هذه العلامات، لكن وقع بينها تعارضٌ في الظاهر، وسأذكر لكم النصوص، ثم أذكر لكم كيف أنّ علماءنا -رحمهم الله- حلُّوا هذا الإشكال.

فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أوّل أشراط الساعة: نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»، إذن؛ ما هي أول اشراط الساعة؟ النار.

وجاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال: "حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أوّل الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيَّتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قَرِيبًا»، إذن؛ على هذا الحديث ما هي أوّل الآيات؟ طلوع الشمس من مغربها.

وجاء في بعض الأحاديث ما يُشعر بأن أوّل الآيات الدجال.

طيب؛ جاء في حديث: أوّل الآيات: النار، وجاء في حديث أوّل الآيات: طلوع الشمس من مغربها، وجاء في بعض الأحاديث ما يُشعر أنّ أوّل الآيات: الدجال! فكيف نجمع؟!

جمع العلماء بين هذه الأحاديث جمعًا بديعًا؛ فقالوا: إنّ النار هي أوّل علامات حصول الساعة ونهاية الدنيا، فليس بعدها من الدنيا شيء، يعني أوّل علامات حصول الساعة: هي النار، فإذا ظهرت النار انتهت الدنيا فلم يبقَ من الدنيا شيء وحصلت الساعة. فهذه أوّليَّتها.

وقالوا: إنَّ خروج الدجال هو أوَّل العلامات المُؤذِنة بتغيُّر الأحوال العامة في الأرض.

قالوا: وإنَّ أوّل الآيات المؤذِنة بتغيُّر العالم العلوي (يعني في السماء): هو طلوع الشمس من المغرب، والدابة قريبةٌ منها؛ لأنه إذا طلعت الشمس من المغرب، ماذا سيحصل؟ سيُغلق باب التوبة؛ فالمؤمن مؤمن والكافر كافر، لن يتوب الكافر من كفره، فتظهر الدابة تَسِمُ الناس، فتظهر العلامة؛ علامة المؤمن وعلامة الكافر.

فهذا هو الجمع.

- أوَّل علامات حصول الساعة ونهاية الدنيا حيث لا يكون بعدها شيء: هي النار.
- وأوَّل علامات التغيُّر العام في الأرض: هو خروج الدجال.
- وأوَّل علامات التغير في السماء هو: طلوع الشمس من المغرب.

لكن هنا أيضًا إشكال -لعلكم انتبهتم له-: النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث الذي معنا ماذا قال؟ قال: «وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ» ماذا قال؟ «وآخر ذلك»، وقال في حديث أنس الذي في صحيح البخاري: «وأول أشراط الساعة: نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» لاحظتم يا إخوة؟ وَصَفَها في حديث مسلم الذي معنا أنها آخِر، ووَصَفَها في حديث البخاري في حديث أنس أنها أوَّل، فكيف يُجمَع؟!

قال أهل العلم: يُجمع بينهما بأنها آخر الآيات المذكورة في الحديث، وهي أوَّل حصول الساعة، وآخر علامات الساعة الكبرى، فمن هنا تكون أوّل وتكون آخر؛ آخر باعتبار العلامات

الأخرى التي ذُكرت معها، وأوَّل باعتبار أنها أوَّل حصول الساعة فليس بعدها من الدنيا شيء، كما سيأتي إن شاء الله عز وجل.

إذا عرفنا هذا فإنه هنالك آيات وردت النصوص بترتيبها؛ وهي:

1. خروج الدجال.
2. ثم ينزل عيسى عليه السلام.
3. ثم يخرج يأجوج ومأجوج.

فهذه الآيات الثلاث مرتّبة هكذا.

وأمّا بقية الآيات لم يرِد في ترتيبها نص، طبعا نحن ذكرنا الأوّليّة انتهينا منها، لكن من جهة ترتيب الآيات لم يرد نص في الترتيب إلا في خروج الدجال، ثم بعد ذلك ينزل عيسى عليه السلام، ثم يخرج يأجوج ومأجوج. لكن العلماء اجتهدوا في الترتيب. وأدقُّ ما قيل في ذلك، وإن كان لا يُجزَم به، لكنه اجتهادٌ حسنٌ في الباب:

1. أن أوّل الآيات خروجا: الدجال.
2. ثم ينزل عيسى عليه السلام.
3. ثم يخرج يأجوج ومأجوج، ويكون المهديّ في ذلك الزمان مع هذه العلامات، وهو عند أهل السنة والجماعة من العلامات الكبرى -كما سنذكره إن شاء الله عز وجل.
4. ثم الخسوفات، تقع الخسوفات الثلاث.
5. ثم تظهر العلامات الدالة على حصول الساعة؛ فيأتي الدخان.
6. ثم تطلع الشمس من مغربها.
7. ثم تظهر الدابة.
8. ثم تخرج النار.

وبهذا تتم العلامات.

وهذا الترتيب ترتيبٌ حسن، وإن كان لا يُجزم به، لأنه لا يُجزم في الغيب إلا بنص، لكنّ هذا الترتيب ترتيبٌ متناسب.

وهذه الآيات إذا ظهرت واحدةٌ منها تتابَعت، فهي متتابعة؛ كالخرز المنظوم في السلك، إذا قُطِع السلك سقطت الخرزات سريعة متتابعة، وكذلك في هذه الآيات؛ فقد جاء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتتابع الخرز في النظام» رواه الطبراني وصححه الألباني. فهذا يدل على أنها تتتابع. وجاء عند الإمام أحمد ما يدل على ذلك أيضًا.

سنشرع -إن شاء الله عز وجل- من يوم الغد في الكلام عن هذه العلامات بشيء من الاختصار غير المُخلّ -إن شاء الله عز وجل- بما يتناسب مع ما بقي من الوقت، لأنا نريد أن نجعل -إن شاء الله- آخر درس في علامات الفتن وأسباب السلامة منها، إن شاء الله عز وجل.